نحو أطلس لغوي لألفاظ الأعشاب الطبية في منطقة تلمسان
– قراءة تحليلية–

الباحث: جمال الدين بابا
قسم اللغة و الأدب العربي
كلية الآداب و اللغات
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الملخص

يتناول هذا البحث علما جديدا يشترك في بحوثه علمان : علم اللغة، وعلم الجغرافيا، فعلم اللغة يتعلق بلغة الإنسان وما يتصل به من فروع وقضايا، وعلم الجغرافيا يتعلق بالبلدان والمناطق وما يحيط بها من مسائل، سأحاول في الصفحات الآتية أن أكشف عن أهم الأسس والمناهج المتبعة لإنجاز الأطلس اللغوي في منطقة تلمسان متّخذا من ألفاظ الأعشاب الطبية مادة ومطيّة للوصول إلى رصد المتغيّرات والاختلافات اللغوية وتحديدها مبيّنا أهمّ الظواهر اللسانية المستنبطة من لهجات المنطقة.

Abstract:

This research studies a new knowledge that contains two different fields of works ; Linguistics and Geography. Linguistics deals with Human languages and their relationship with branches and issues, while Geography studies the facts which relate them to towns, regions and all maters that have links with it. This paper will explore in text pages, the most important foundations and methods applied to accomplish the linguistic Atlas of Tlemcen, taking the words of medicinal herbs as a corpus ; in order to identify the linguistic differences indicating the most important linguistic phenomena derived from the dialects of the region.

المنارة للاستشارات

مقدمة :

إن ممّا يلفت الانتباه في عصرنا الحاضر، ذلك الترابط العضوي الوثيق القائم بين البحث العلمي من جهة والتطور المجتمعي من جهة أخرى، فالعلم ما فتىء يتطور يوما بعد يوم في مختلف الميادين، وعلم اللغة أو اللسانيات أحد هذه الميادين الذي يحاول مسايرة الرّكب الحضاري بأبحاثه،فقد أنتجت الدراسات اللغوية في القرنين التاسع عشر والعشرين اختصاصا دراسيا مستقلا يدعى الجغرافية اللسانية، بحيث يعنى الباحثون فيه بتتبع التنوعات اللغوية عبر مختلف المناطق، ثم ينشئون الخرائط ذات التوزيع اللغوي المعين، فكما أنّ للسياسة خرائط وللمناخ خرائط، وللأديان والأعراق والألوان خرائط، فإنّ للغات أيضا خرائط، وقد يتطوّر الأمر فتدرس لغاتأو لهجات ما من حيث تطوّرها وانتشارها واختلافها، وينتج عن تلك الدراسة أطلس لغوي يفيد الباحثين في دراسة تلك اللغات أو اللهجات دراسة تاريخية وجغرافية...إلخ.

من هنا سأحاول أن أبيّن فكرة الأطلس اللّغوي، وأقف عند مظاهر التنوّع اللّغوي في منطوق تلمسان باعتبار أنّ هذه المنطقة تمثّل منطقة شاسعة، ومن المقرّر عند علماء اللّغة أنّه يستحيل على مجموعة بشريّة تعيش في مساحة أرضيّة شاسعة أن تصطنع في حديثها اليومي لغة موحّدة خالية من أيّ اختلاف صوتي، دلالي أو اختلاف في البنية أو التّراكيب، فموضوع البحث يتّخذ من لهجة المنطقة ميدانا رحبا لهذه الدراسة، ومن الجغرافية اللهجية هدفا، ومن ألفاظ الأعشاب الطبية مادة ومطيّة للوصول إلى رصد المتغيرات اللهجية وتحديدها.

1– فكرة الأطالس اللسانية :

عند الحديث عن علم اللغة الجغرافي وتطبيقاته على اللغة العربية، يجب ألاّ ننسى الجهود الغربية في نضوج هذا العلم واستقلاله وتأصيله،فارتباط اللغة بعلم الجغرافيا ظهر منذ أكثر من نصف قرن ليضع الحدود اللغوية للهجات المختلفة في خرائط تمثل معالم كل لهجة، وتفرق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا إلا في أن ما يدوّن عليها ظواهر لغوية، تطلعنا على أدق الفروق اللسانية [1]،أما الخرائط اللسانية، فهي مجموعة النماذج الجغرافية التي يجرى عليها توزيع التنوعاتاللغوية،وتتنوع الخرائط بحسب أنواع الأطالس

المنارة للاستشارات

إلى خرائط لهجية(cartes dialectales)، وخرائط لغوية(Cartes Linguistique)، كما تتنوع الخرائط بحسب مستويات التحليل إلى خرائط صوتية (Phonétique) أو صرفية (morphique) وتنتشر على كل خريطة نقاط التجمعات الإقليمية واللغوية التي يحددها القائمون بالعمل،ليجري توزيع التنوعات عليها [2]، ومن الشائع أن تستخدم الأطالس علامات توزيعية إيضاحية كالنقاط والدوائر والمثلثات وغيرها، أو اللجوء إلى وسيلة التظليل، وذلك حينما يكون التداخل شديدا في التوزيع.

أما عن طرق إنجاز الأطلس اللّغوي، **فالطريقة الألمانية** ابتكرها وقام بتنفيذها الباحث الألماني (فينكر) (Wenker) حين اعتمد على وضع مجموعة من الجمل تصل إلى حدّ الأربعين، وهي تمثل أهم ما يجري على ألسنة الناس،وكان الهدف من ذلك هو معرفة الطريقة التي ينطق بها هذه الجمل في اللهجات المختلفة، مع مراعاة احتوائها على أهمّ الظواهر الصوتية التي تتميز بها اللهجات، ولذلك فقد تضمّنت الاستمارة الخاصة بالاستبيان معلومات ينبغي إثباتها عن الراوي اللغوي، والجهة التي ينتمي إليها، وعن المسجّل اللغوي الذي كان غالبا من المعلّمين في المدارس الابتدائية، وذلك لكي لا يتدخل في تسجيل الظواهر، ولاتّصاله بالجماهير، وقد أرسلت نسخ هذه الاستمارة إلى نواح مختلفة في ألمانيا، والتي بلغت حوالي خمسين(50) ألف ناحية بإعانات رسمية حكومية، وبعد ذلك تُجمع الإجابات وتفحص، ويقارن النّطق الذي في اللهجة بالاستعمال اللغوي النموذجي، وتخصص لكل كلمة خريطة خاصة، وذلك بأن تستخرج أولا صور اللفظ، وصيغه، ومرادفاته على خرائط تفصيلية، تشتمل على بلاد الأقاليم كلها، ثم تحدّد عليها المناطق اللغوية المختلفة، وعلى ضوء هذه الخرائط التفصيلية، ترسم الخريطة العامة مبيّنة الحدود النهائية للمناطق اللغوية [3].

ثمّ الطريقة الفرنسية، وهي تعتمد أساسا على اختيار الإقليم انطلاقا من الخريطة، وينتقى من هذا الإقليم القرى والبلاد التي تمثّل البيئة اللغوية الموجودة فيه. ثم يؤلّف كتاب خاص يعرف بكتاب الأسئلة اللغوية، ويشترط فيها شروطا لا بدّ من توفّرها في الراوي، فيذهب المسجّل إلى القرية أو المدينة (المكان المقصود)، يقضي به بضعة أيام، يسأل في أثناءها، أبناءَها من ثقاتها، عن جميع ما ورد في الكتاب من أسئلة.وبعد الانتهاء من العمل الميداني وجمع الإجابات المختلفة(من صيغ اللفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة)، تدرسُ ليمهّد ذلك لمعرفة الخصائص والسمات للهجة أو اللهجات المقصود دراستها، في مجال الأصوات أو صيغ

المنارة للاستشارات

الألفاظ أو طرق التعبير المختلفة، ثم بعد ذلك، تسجّل هذه النتائج على الخريطة الخاصة بها [4]،ويكون ذلك بكتابة اللفظ مكان القرية أو البلدة المعيّنة. بعد ذلك تطرقنا لنماذج من الأطالس اللغوية الأخرى، الأجنبية منها والعربية، والتي اتّبعت –تقريبا– نفس الطريقتين السابقتين، مع التأكيد على أهمية تمثيل اللهجات العربية الحديثة تمثيلا جغرافيا، فمثل هذا العمل، يعين على دراسة اللهجات في ذاتها أولا، وعلى دراسة اللغة العربية الفصحى ثانيا وثالثا يساعد على معرفة ما يمتّ من اللهجات العربية إلى الفصحى بسبب، وما هو متوغّل في القدم منها أو حديث عهد بحياتنا اللغوية، كما يعين أخيرا على دراسة سائر اللغات السامية دراسة مقارنة[5].

2– تلمسان: مدينة وتاريخ:

تقع مدينة تلمسان على ارتفاع 830 متر على مستوى سطح البحر، بنيت في سفح مرتفعات جبلية تكسو جنوبها غابة كثيفة من شجر الصنوبر الأخضر الجميل. وفي شمالها يمتد سهل خصب واسع، وفي شمالها الغربي تقف مرتفعات ترارة شامخة يطل منها جبل فلاوسن وسيدي سفيان وفي الشمال الشرقي مرتفعات سبعة الشيوخ.

وصفها يحي ابن خلدون مؤرخ ملوك بني عبد الواد بقوله:

(اقتعدت بسفح جبل ودون رأسه ببسيط أطول من شرق إلى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين تطل منه على فحص أفيح معد للفلاحة)[6].

واسم تلمسان بربريّ، فهو تحريف صيغة جمع وهو تِلْمِسان أو تِلْمِسين بكسر فسكون فكسر ومفرده تِلْماس ومعناه جَيْبُ ماء أو ينبوع. فيكون معنى اسم تلمسان مدينة الينابيع وهذا المعنى يتلاءم مع طبيعة تلمسان لكثرة مياهها متفجرة من كل مكان المنساب في كل اتجاه.

فيما يرى آخرون[7]أن كلمة تلمسان تتألف من كلمتين بربريتين هما: (تلم) ومعناها تجمع و(سان أو سين) ومعناها اثنان. أي تجمع اثنين: البرّ والبحر، الشمال والصحراء، أو الجبل والسهل.

إن لمدينة تلمسان ماضيا تاريخيا هامّا اكتسبته من موقعها الجغرافي الممتاز ومن كونها كانت مركزا عسكريا وتجاريا وحضاريا وسياسيا بارزا في منطقة الشمال الإفريقي عبر

المنارة للاستشارات

العصور ممّا جعلها محطّ أطماع الكثير من الحكّام فسعوْا للسيطرة عليها وضمّها إلى ممتلكاتهم.

وقد اجتمعت في تلمسان عدّة لهجات باعتبار أنّها تمثّل رقعة استراتيجيّة هامّة، شكّلت طيلة فتراتها التّاريخيّة ممرّا للجيوش، والفاتحين والقوافل التّجاريّة من الحضارات المختلفة التي تعاقبت عليها منذ عهد الفينيقيّين إلى العهد الاستعماريّ الإسبانيّ والفرنسيّ، فقد ضمّت عناصرشتّى من حضريّين من الحواضر التلمسانيّة المختلفة، وقرويّين، وبدو وعناصر أخرى غير عربيّة.

أ- تحديد المنطقة المدروسة جغرافيا ومجتمعيا:

تختلف الحدود من منطقة إلى أخرى، ففي القرى يمكن اعتبار القرية بأبعادها الجغرافية وحدة منفردة، واختيار العينة منها على هذا الأساس.

وأحيانا كثيرة تشكل نفس القرية وحدتين أو أكثر، فالوضع هنا مختلف، حيث عدم التجانس المجتمعي واللساني. ولتحديد عيّنات يمكن دراستها كوحدات لسانية، كان علينا اللجوء إلى تقسيم المنطقة إلى مناطق جغرافية، أو أخذ عينات من أماكن متباعدة في المنطقة الواحدة.

أما دراسة منطقة كتلمسان، فالذي اتّبعه العلماء في أبحاثهم والحالة هذه، هو تقسيمهم المنطقة إلى مناطق جغرافيةمنتظمة باعتماد التقسيم الإداري الذي تتبعه البلديات والولايات في تقسيم المقاطعات، وهذا هو المنهج الذي اتبعناه في دراستنا،ولهذا عمدنا في البدايةإلى تحديد الفضاء الجغرافيّ الذي شمل المناطق التالية :(تلمسان (المركز)، وبني صميّل، وبني وار سوس، وبني بوسعيد، والعريشة والسواحليّة)، وذلك لنتمكّن من تتبّع نظم هذا المجتمع ودراسة ثقافته وتغطية معظم اللّهجات المستخدمة فيه.

ب- أهمية التداوي بالأعشاب عند سكان المنطقة :

حظي التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية باهتمام كبير عند معظم أهالي منطقة تلمسان، فقد كانت الأعشاب الطبية الطبيعية الطريقة الأمثل، والأكثر استعمالا ومحافظة على صحتهم مقارنة مع باقي الأساليب الاستشفائية الأخرى، وهذا لتمسكهم بطب الآباء والأجداد ولاعتقادهم بأن النباتات كمصدر طبيعي تخلوا من أي تأثير جانبي على جسم الإنسان.

المنارة للاستشارات

فتلمسان لم تخل أبدا من الأطباء منذ أن أصبحت آهلة بالسكان، والطبّ يدعوا الى صنع الأدوية، وجلّ الأدوية التي كانت موجودة كانت تشكّل من الأعشاب في الغالب، ويجدها الأطباء بسوق العشابين[8]، والأمر الذي كان معهودا عندهم آنذاك، هو أن التداوي بالأعشاب كان سلوكا اجتماعيا راسخا في المجتمع، بحيث كان يمارس في المنازل حتى وصفه البعض[9]بالطبّ المنزلي. وقد كانت مهنة الطب متداولة بعناية في تلمسان منذ القدم، فقد كانوا يستعملون النونخة أو الضرو لعلاج الحمّى، والزعتر لعلاج الزكام، والعرعار لعلاج أمراض المعدة.....الخ.

هذا ورغم مرور الزمن، فإنه لا زال التداوي بالأعشاب والنباتات ممارسا وبكل شدة من طرف سكان وأهالي المنطقة، ومن الأدوية والأعشاب التي يكثر عليها الطلب نجد : **عشبة الزعتر، النوخا، فتاتت الحجر، مليلس، الفيجل، لازير، العرعار، الحرمل وغيرها** من الأعشاب التي ردّدها الآباء والأجداد، ونحن لازلنا نستعملها حتى اليوم في علاج ذاك المرض أو تلك الوعكة.

3– منهج البحث :

أمّا منهج الدّراسة فقام على الوصف والإحصاء، وذلك بوصف ألفاظ النّباتات، وتحليلها للوصول إلى نتائج محدّدة نعتقد أنها أقرب إلى الموضوعيّة، و تطلّب ذلك إحصاء واستقراء لألفاظ النّباتات وفق تكلّمات واستعمالات أهالي تلمسان لعرضها على الخرائط الجغرافيّة، كما اعتمدت في جمع المادّة اللّغويّة وتسجيلها وتوثيقها على وسيلتين هامّتين من وسائل البحث وهي(الملاحظة والتّسجيل)، وذلك مشافهة من خلال الأحاديث والمحاورات المباشرة مع مجموعات من مختلف مناطق تلمسان، واشترطت شروطا لابدّ من توافرها في الرّاوي ليكون ممثّلا صحيحا لبيئته اللّغويّة وهي[10]:

–أن يكون من أهل المنطقة، و ألّا يكون قد هاجر منها ثمّ عاد إليها، لكي لا تتأثّر لهجته الخاصّة، فاللّهجة تؤثّر و تتأثّر كما هو معلوم.

–أن لا تكون به عاهة أو مرض بحيث ينبغي أن يكون تامّ القدرة على فهم السّؤال مع مراعاة سلامة مخارجه.

–وأن يكون قليل الحظّ من العلم و الثّقافة، أي أن يكون أمّيّا، ولهذا فقد شملت العيّنة مجموعة الأشخاص المسنّين من(عجائز، شيوخ، فلاحين وبائعي الأعشاب) ممّن هم على

المنارة للاستشارات

دراية بأسماء النّباتات، فهم أكثر أفراد هذه المنطقة تناولا للأعشاب واستعمالا للنّباتات الطّبيّة التي أصبحت ضرورية في حياتهم اليوميّة، وفي تجاربهم الشّعبيّة، وقد استعنت أيضا "بالصّور التّوضيحيّة" للنّباتات خلال عمليّة الاستقصاء، فالصّورة الدّقيقة قد تغني عن الكلام الطّويل في غالب الأحيان.

كنت أجمع المادة اللهجية من مصادرها ثم أصفها بوسائل التعليل والتحليل والتفسير من خلال كتب النحو واللغة والقراءات مفيدا من معطيات الدرس الحديث فيما تحتاج الظاهرة إلى تعليل أو تفسير جديد يضاف إلى تعليلات المتقدمين، وقد شملت العينة ثلاثة وخمسون (53) نبتة استقرأنا من خلالها ألفاظ الأعشاب الطّبّيّة الجارية على ألسنة أهل المنطقة، خاصّة من النّاحيتين الصّوتيّة والمعجمية، مبيّنا طريقة نطق هذه الألفاظ في كلّ لهجة، ويتدخل بعد ذلك المنهج التقابلي بإجراء المقابلة والمعارضة بين كل كلمة أو عبارة أدلى بها المتحدثون لتُستخلص في الأخير النتائج لتُوضَّح على الخرائط، فدراسة موضوع من هذا القبيل، وحسب منظار الأطلس اللغوي، يفرض على الباحث الصبغة الميدانية من دون شك، فقبل إجراء المقابلة، كنت أعمد إلى إجراء اتصالات مع عدد من المخبرين، لضمان تعاونهم، وللتخفيف من وقع الجو الرسمي على المقابلة، أيضا لضمان الحصول على العدد المطلوب من العينات اللسانية(مع مساعدة المتحدثين على التحرر من القيود الرسمية للمقابلة، والتحدث بطلاقة).كما أنّ جمع الأسماء النّباتيّة–وذلك من واقع لهجات أهل هذه المنطقة– كان مقرونا بالصّورة الموضّحة للنّبات، ولا شكّ أنّ الوسيلة الإيضاحيّة مهمّة في العمل المعجمي الذي لا يقتصر على الوصف المجرّد، بل يستند إلى الصّورة التي تمكّن القارئ من الوقوف على بيان الشّيء المراد وصفه، وهذه الوسيلة يتحتّم وجودها في مثل هذا النّوع من الأبحاث.

المنارة للاستشارات

أسماء	تلمسان	بني صميل	بني وارسوس	العريشة	السواحلية	بني
البابونج	البابونج	البابونج	مْلال	البابونج	البابونج	أمْلا
البرواق	البرواگ*	البرواگ	بْلالوز	البرواگ	البروادجْ	البر
البسباس	البسباس	البسباس	البسباس	البسباس	البسباس	وامْ
البقول	البْأول	الخُبّيز	الخُبّيز	الخُبّيز	تيبّي	تيبّي
البقوق	/	لبگوگة	أبقوق	لبگوگة	أبكوك	أبقو
تاسلغة	عين لرنب	عين لرنب	عينة لرنب	تاسلغا	عين لرنب	تاس
تالغودة	تالغودة	تالغودة	كْتار	تارْغودة	تانغودة	تارْغ
تيقنطست	تيگنطست	تينگطست	تيقنطست	الگنطيس	/	تينظ
الثوم	التّوم	الثوم	التّوم	الثوم	التّوم	تِيشّ
جرجير	گرنونش	گرنونش	گرنونش	الجرجير	كرنونش	گرنو
الجوز	لْدجوز	الگرگاع	الگوز	الگرگاع	لدجردجيع	الجَو
الحرايق	الحرّايأ	لحُرّيگ	لحُرّايق، لحُرّيقة	لحُرّيگ	حُرّايك	لحُرّ
الحرف	الحُرف	الحُرف	الحُرف	حبّالرشاد	الحُرف	الحُر
الحلبة	بضم الحاء	بالفتح	بالضم	بالفتح	بالفتح	تيفي
الحمّيضة	الحُمّيضا	الحُمّيظا/	الحُمّيطا	الحُمّيظ	الحُمّايطة	تاسم
الحنّاء	بضمّ الحاء	بفتحها	بضمها	بفتحها	بفتحها	الح
الحنظل	الحنضل	الحنظل	الحنطل	الحنظل/ الحدج	الحنطل	الح
الخروع	الخروع	الخروع	الكرنك	الخروع	الخروع	الكر
الخلنج	الخلنج	الخلنج	بوحدّاد	الخلنج	الخلنج	الخ
الدّفلى	الدّفلى	الدّفلى	الدّفلى	الدّفلى	الدّفلى	أليل
الرّند	الرّند	الرّند	الرّند	الرّند	الرّند	تاس
الزّبّوج	الزنبوج	الزنبوج	الزبّوج	الزبّوج	الزبّوج	أزمّو
الزّعتر	السّحتر	الزّعتر	الزّعتر	الزعطر	الزّعتر	الزع
الزعرور	عين البأرة	عين البقرة	عينة لبقرة/أذمّام	الزّعرور	الزّعرور	أذما
الزعيترة	الزعيترة	زعيترية	الزعيترة	الجرتيل	الزعيترة	الزّع
السّدرة	السّدرة	السّدرة	السّدرة	السّدرة	السّدرة	ثْزُگا
السكّوم	السكّوم	السكّوم	السكّوم	السكّوم	الستشوم	الس
السّمار	السّمار	السّمار	السّمار	السّمار	السّمار	سلّ
الشندقورة	الشندگورة	الشندگورة	الشنگورة	الشندگورة	الشّندجورة	الشذ
الشهبة	الشهبة	الشبة	الشهبة	الشهبة	الشهبة	الش
الضّرو	الضّرو	الظّرو	طْرُو	الظّرو	طْرُو	فاذ

المنارة للاستشارات

الضّمران	الضّومران	تيمرصاد	مْشاشْ طْرو	الضّومران	مْشاشْ طْرو	تيمر
الطاقة	الطاگة	الطاگة	التّاقّة	الطاگة	الطّادجة	الطّا
العرعار	العرعار	العرعار	العرعار	العرعار	العرعار	أملّز
العلّيق	العلّاياً	الستّور	عُلّايق	العليگ	العُلّايك	العُنّيِ
فتات الحجر	فتّاتث لحجر	فتّاتث لحجر	فتّاتث لحجر	هرّاستْ لحجر	دقّاكت لحجر	فتّا
فليو	فلِيو	فلِيو	فْلايو	فلِيو	فْلايو	فلِيو
الفيجل	الفِيجَل	الفَيْجَل	الفِيجَل	الفَيْجَل	الفِيجَل	
الكابويا	الكابويا	القرعة	الكابويا	الكابويا	تشابويا	ثخ
الكراث	البُورّو بهمس	الكُرّاث	كُرّايَطْ	الكُرّاث	الكُرّات	البُو
كرموس	كرموس	تشنبُ	كرموس دَ	الهندية	الهندي	الهند
الگندول	الگندول	الگندول	الگندول	الگندول	الدجندول	أزَرّو
لازير	لازير	الحلحال	بارْكْلا	الحلحال	بارتشلا	زير
لسان الفرد	لسان الفرد	لسان الفرد	الحُرّيشة	لسان الفرد	لسان د البكرة	إلَسأ
اللّنج	اللّنج	اللّنج	ساسنو	اللّنج	ساسنو	أسا
ماگرمان	ماگرمان	ماگرمان	مرسيط	ماگرمان	مايرمان	ثِمر
مرّيوة	مرّيوة	مرّويَة	مرّيوْ	مرّيوة	مرُودج	ثمرّ
مصلح الأنظار	مصلح	مصلح لنظار	مصلح لمطار	مصلح لنظار	شطيبة لمطار	مصد
مليليس	مْليلَس	بوصفّير	مْليلَس	مْلَيْلَس	مْليلَس	أمليِ
النّبق	النّبگ	النّبگ	النّبق	النّبگ	النّبك	أزاغَ
النّجم	النُّجَم	النُّجَمْ	النَّجْمْ	النُّجَم	أفّار/أيزمير	الگز
النونخة	النّونْخا	النّوخا	النّوخا	النّوخا	النّوخا	النّو

– ألفاظ الأعشاب الطبية في منطقة تلمسان :

وقد ارتأينا تصنيفها وترتيبها وفق الجدول التالي مبرزين أهم الفروق اللغوية في المنطقة المدروسة :

5– أهم الظواهر اللغوية لألفاظ الأعشاب الطبية :

لاحظنا من خلال هذا العمل الميداني جملة من الظواهر اللغوية أهمّها:

***ظاهرة الإبدال**[11] : وهي ظاهرة متجذّرة في اللهجات العربية القديمة، تكررت بكثرة في لهجات المنطقة كإبدالهم الهمزة من القاف في (البقول/ البْأول)، وكقلب القاف إلى الصوت المركّب (دج) في (برواق/بروادجْ)، وكذلك قلب القاف كافا في (البقوق/أبكوك)،(الحُرّايق/الحُرّايك)... والإبدال بين الأصوات المتقاربة المخرج مثل اللام

المنارة للاستشارات

والنون والراء، فمثلا كلمة (تالغودة)تنطق عند البعض (تارغودة) بالراء، وعند البعض الآخر (تانغودة) بالنون. والثوم ينطق–**بالثاء**– عند السكان البدويين في منطقة تلمسان (خاصة قبائل العريشة وبني صميل)، غير أنّه في لهجات الحضر، يستبعدون الحرف اللثوي، حيث تبدل الثاء تاء– طلبا للسهولة– لتصبح (**توم**), وكذلك قلب الضاد طاء أو ظاء إيثارا للخفّة وكراهية للثقل في (الحمّيضة/ الحمّيطة/ الحمّيظة)، وكذلك في (الحنظل / الحنضَل /الحنطل)[12]، إضافة إلى إبدال الحاء من العين وكذا السين من الزاي في (الزعتر / السحتر)، فالسين عند الحضريين قد ينطق بها زايا عند البدو ضف إلى ذلك ما كان من عادات سكان السواحلية الكلامية حين يستبدلون الكاف بالصوت المركّب (**تش**)، فينطقونها **الستشوم** بدل (السكّوم)، فالكاف عندهم إذا وقعت في وسط الكلمة، تقلب إلى الثنائية "تش" بتاء مضغوطة[13]

كما قد يقع أيضا **الإبدال بين الحركات** في بعض الأحيان، فلفظة الحلبة في لهجة تلمسان، هي **(بضمّ الحاء)** عند الحضر، و**بفتحها** –والفتح أفصح–عند البدوالذين يميلون إلى الاقتصاد في الجهد العضلي من خلال تعمّدهم الانسجام بين حركات الكلمات[14]، وكذلك اسم **الحنّا** (بإسقاط الهمزة في الآخر)، حيث تفتح حركة الحاء عند البدو، وتضمّ عند الحضر.

***ظاهرة القلب المكاني :**

كما قد يقع تغيير في مواقع صوتي الجيم والزاي في بعض اللهجات، فتصبح **الزّوج** بدلا من الجوز، وهو ما نجده أيضا في بعض اللغات اللاتينية.

***المعاقبة** :تعد المعاقبة من الظواهر اللغوية، حيث تتعاقب الواو مع الياء، وقد وردت في لهجات القبائل العربية القديمة في شتى أماكنها[15]،(فالبعض يطلق على نبتة مرّيوة اسم مرّوية) (بمعاقبة الواو والياء).

***ظاهرة التصغير** : التصغير في اللغة يدل على التقليل والنقصان ، ففي اللغة العربية صغر الشيء[16] يعني قلّل حجمه ، كما يوجد التصغير أيضاً في اللّغات السامية واللاتينية كذلك، وفي لهجة الغزوات نجد كلمة(عوينة لرنبْ) بصيغة التصغير، حيث أصبحت هذه الظاهرة مطبوعة بطابعهم اللهجي والصّوتي، فلم يضمّوا أول المصغّر الثلاثي بل سكّنوه ولم يفتحوا ثانيه بل خفضوه بخلاف الفصحى.

المنارة للاستشارات

***ظاهرة الإشباع** : الإشباع مظهر صوتي، يتم فيه تحويل أصوات اللين القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) إلى أصوات لين طويلة (ألف، ياء، واو).واسم الحلبة عند البعض **الحالبة** (بإشباع[17] حركة الحاء) وكذا إشباع الألف في فلايو/ فليو).

***التفخيم والترقيق** : فقد يجنح أهل البدو للميل أكثر إلى الأصوات المفخّمة، فيقولون **الزعطر**، بالطاء بدلا من التاء بتأثير الرّاء البعدي.

وأما على المستوى المعجمي، فإن اللهجة التلمسانية متأثرة باللغة الأمازيغية والفرنسية والإسبانية والتركية والفارسية... ذلك أن لكل لهجة في موقعها الجغرافي والمجتمعي سمات مميّزة تُباينها عن أخرى تبعد عنها ببضع أميال، وكذلك تتباين معاجم العاميات باختلاف المناطق،واللفظ أحد مظاهر هذا التباين، فقد يعتريه التحوّل والتبدّل، فيتغير من ناحية شكله ومبناه كأن تتغير حروفه وأصواته أو صيغته أو بنيته أو من ناحية معناه، وعلى هذه السنة نفسها درجت لهجة منطقة تلمسان، لذا فإنه لا يمكن اعتبار الخيارات أو الوجوه الأخرى للكلمة أخطاء أو مجرد تشويهات صوتية لابتعادها عن الشكل المعياري، فالشكل اللهجي مهما كانت صورته من شأنه أن يردنا إلى أصل اللغة، وما هذه الظواهر أو المتغيرات إلا وجوه كانت متواردة ومطّردة في لهجات القبائل العربية القديمة. فاسم الزعرورة (Azerole) مثلا في لهجة تلمسان مأخوذ من الكلمة الاسبانية (Acerola)[18]، واسم فليو تعريب الاسم الفرنسي (Pouliot) من قلب حرف الباء المهموس (P) فاءً، وهذا التعاقب تسوغه القوانين الصوتية، فكلاهما من مخرج متجاور، ولفظ الكرّاث عند الحضر قد اقترضوه واستعاروه من اللغة الإسبانية(puerro)، فيقولون (**البُورّو**) بهمس الباء.

وما هو ملاحظ كذلك، فإن لهجة بني بوسعيد لهجة أمازيغية , وهي من اللهجات الزناتية التي تختلف عن سائر اللهجات البربرية، وما يمكن تسجيله أن هذه اللهجة المحلية لا تستعمل إلا عند طبقة الشيوخ في وقتنا, وتنحصر في حدود مغنية, سيدي الجيلالي على الشريط الحدودي , الزوية, والكاف ببلدية سيدي مجاهد، ومنطقة بني زيداس ببلدية بني سنوس , ربان, وهي لهجة واحدة ومتشابهة بين هؤلاء السكان، وتعتبر اللهجة الأمازيغية امتدادا للهجة "شلوح" بني زناسن المغربية نواحي وجدة، وتوجد عدة روايات تتداول على ألسنة سكان بني بوسعيد[19].

النتائج :

المنارة للاستشارات

وفي الختام، فإن موضوع الأطلس اللغوي، يعد من الدراسات الميدانية التي تفتقر إليها المكتبات العربية في زمننا هذا، ورغم نقص ما عولج في هذا الميدان، فإننا حاولنا في هذا البحث طرق هذا الباب الواسع، تطرقنا من خلاله لإحصاء مفردات الأعشاب الطبية الأكثر تداولا في منطقة تلمسان، مع بيان الاختلاف اللغوي الحاصل بين لهجات المنطقة وأهم المميّزات اللغوية الخاصة بكل لهجة، ومن ثمّ تمثيل ذلك كلّه على خرائط جغرافية . وقد أفضى بنا هذا الاستقصاء إلى النتائج التالية:

1. من شأن هذا العمل أن يكون ممهّدا لإنجاز الأطلس اللساني بالاعتماد على خرائط جغرافيّة يجرى عليها توزيع التّنوّعات اللّغويّة، ومعرفة الحدود اللّهجيّة، فوضع أطلس لغوي للهجات تلمسان، يعتبر بمثابة سجل حيّ للواقع اللغوي للمنطقة.

2. تعدّد التسميات للنبتة الواحدة من قرية إلى أخرى، ومن ناحية إلى ناحية في نفس المنطقة.

3. من جهة أخرى، هناك بعض الألفاظ الفصيحة، وان اعترى بعضها التطور والتبدل سواء في أصواتها أوبنيتها.

4. أغلب التغيّرات الصوتية التي طرأت على أصوات الأعشاب الطبية، جاءت نتيجة ميل الناس إلى السهولة وطلبا للخفة والاقتصاد في الجهد العضلي.

5. نجد أن الاختلاف بين أسماء الأعشاب والنباتات، قد يخلق التباسا في فهم المعنى في معظم الأحيان، مما يحدث اضطرابا في التعرف على النباتات.

6. توصلنا من خلال هذا الأطلس إلى معرفة السمات والظواهر اللغوية التي تميز كل منطقة جغرافية في جوانب الصوت، والنطق والصرف، والمفردات....الخ.

7. وممّا يلاحظ أنه كلما ابتعدت منطقة عن منطقة أخرى جغرافيا، فإنها تختلف عنها لغويا، وأنه كلما اقتربت من منطقة أخرى جغرافيا، فإنها تكون أكثر شبها بها لغويا.

8. اتّضح أن الحدود الجغرافية أو الإدارية لم تؤثر تماما على التداخل اللساني.

9. انفراد مناطق معينة بصفات وخصائص لغوية، كما هو الشأن في منطقة بني بوسعيد، حيث نجد فيها الأمازيغية تشكل جيوبا لغوية خاصة بهذه المناطق، ويستعملها الأفراد في مختلف الخطابات اليومية.

المنارة للاستشارات

10. وما تنفرد به لهجة السواحلية أيضا، هو نطقها حرف القاف كافا، وإبدالها لصوت الكاف صوتا مزدوجا 'تش'، والكلمات التي تأصّل فيها حرف القاف الشديد الشبيه بالجيم القاهرية المتطورة عن حرف القاف، فيبدل إبدالا مطردا إلى 'دج'.

11. تميز لهجة بني وارسوس بخصائص لغوية معينة كاستعمال حرف الدال ' د ' للإضافة والدلالة على الملكية، بالإضافة إلى نطق القاف نطقا عربيا فصيحا بالمحافظة على همسها، وكذلك إبدال صوتي الضاد والظاء إلى صوت الطاء.

12. وقد ظلّت عاميتا في البوادي بوجه خاص، نقية صافية؛ وذلك لانعزالها وبعدها عن المؤثرات الخارجية، وهذا ما لمسناه خصوصا في لهجتي بني صميل والعريشة.

13. عدم وجود اختلاف لغوي كبير على المستوى الصرفي بين لهجات المنطقة، فالاختلاف البارز هو على مستوى الأصوات، والمفردات والنظام المعجمي.

ولما كان إعداد الأطالس من الأمور التي تحتاج إلى تعاون الهيئات والجماعات، ولا يستطيع أن يقوم به فرد واحد، فإن المحاولة الفردية تقدم إسهاما متواضعا يمكن أن يضاف إليه دراسات أخرى مستقبلا.

الهوامش :

(1) ينظر : رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص147.

(2) ينظر : سعد مصلوح، من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثالث، مارس/أبريل، 1994، ص 17.

(3) ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 153.

(4) ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مطبعة الجبلاوي، لبنان، ط2،1990م، ص 403.

(5) ينظر: خليل عساكر، الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية،الجزء السابع، الدورة الخامسة عشرة، سنة 1949م، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة،1953م، ص 379.

المنارة للاستشارات

(6) يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، الجزائر 1910 ج1 ص9.

(7) محمد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984، ص9.

(8) لا زال هذا السوق قائما إلى الآن بنهج بن ديبون.

(9) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 417.

(10) وهذه من ضمن الشروط التي ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب في وصفه للطريقة الفرنسية في عمل الأطالس اللغوية، ينظر رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص155.

*بإبدال القاف جيما قاهرية.

(11) ويعد الابدال ظاهرة لغوية معروفة في جميع اللغات؛ وهي تعني لفظ صوت مكان صوت آخر في نفس الكلمة من دون أن يخل ذلك بمعناها، وقد حفلت اللغة العربية في طورها الفصيح بكثير من المفردات الدالة على ذلك، وانتقل هذا إلى اللهجات العربية الحديثة؛ سواء أكانت الألفاظ الدالة على هذه الظاهرة قديمة قد بقيت فيها منذ أيام الفصحى، أم نشأت بعد ذلك حينما تحولت الفصحى إلى الطور اللهجي.ويثبت ذلك السيوطي في قوله : (ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمّد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متّفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد)، ينظر : المزهر في علوم اللغة للسيوطي، مكتبة دار التراث، ط3، 460/2.

(12) ويبدو أن هذا الإبدال قديم في اللغة العربية، مثال ذلك كلمة "ضنين" في الآية الكريمة: **(وما هو على الغيب بضنين)**، (التكوير، الآية 24)، فقد قرأها كثيرون بالظاء مكان الضاد. ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تح رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص 19–20.

(13) ينظر: أحمد قريش،دراسة لهجية لمنطوق السواحلية، مخطوط رسالة ماجيستر في اللغة، تلمسان،1999م، ص 53.

(14) ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3 ، 2003، ص 86.

المنارة للاستشارات

(15) ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص 238–239.
(16) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صغر، دار المعارف، القاهرة، ص2453.

(17) والإشباع في حقيقته لا يعدوا أن يكون انسجاما صوتيا يفضله بعض الناس ولا يميل إليه البعض الآخر، ينظر : عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1982، ص 94.
(18) ينظر : أمين رويحة، التداوي بالأعشاب، دار القلم ، بيروت، لبنان، ط7، 1983م. ص 168.
(19) والبعض منهم قد لا حظ هذا التشابه، ولذلك يثبتون بأنها أتت من الشلحة (لهجة مغربية) عن طريق المصاهرة والاحتكاك، وذلك لكثرة رحلات الأسلاف إلى هذه الأراضي المجاورة، ينظر : المعجم اللغوي لمنطقة مغنية "قراءة تحليلية" ، حران رحمة، مخطوط رسالة ماجيستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 2001-2002م.

المنارة للاستشارات